

هاني أبو أسعد .. علامة فارقة في السينما الفلسطينية

يوسف الشايب

شكلت تجربة المخرج السينمائي الفلسطيني هاني أبو أسعد، علامة فارقة منذ تسعينات القرن الماضي، وتطورت ما بعد العام ألفين وصولاً إلى فيلمه الأخير "يا طير الطاير"، وقبله فيلمي "الجنة الآن"، و"عمر"، اللذان حصدا الكثير من الجوائز العالمية البارزة وصولاً للمنافسة على أوسكار أفضل فيلم أجنبي لمرتين. تجربة هاني أبو أسعد، ابن الناصرة، التي بدأت تتشكل فعلياً كمنتج لفيلم "دار ودور" في العام ١٩٩٠، وفيلم "أيام طويلة في غزة" في العام ١٩٩١، وفيلم "حظر التجول" في العام ١٩٩٣، والأولان وثائقيان، والثالث روائي، تخللها أول فيلم روائي قصير من إخراجة في العام ١٩٩٢ وحمل اسم "بيت الورق"، وسبقه فيلمه الوثائقي الأول "لمن يهمه الأمر" في العام ١٩٩١.

أبو أسعد منتجاً

فيلم "دار ودور"، أول إنتاجات هاني أبو أسعد، من إخراج رشيد مشهراوي، الذي قال عنه مرة "تواجدت في يافا المدينة التي لجأ منها أجدادي، وتواجدت يافا في أفلامي، ومنها دار ودور". (١)، وقال عنه أيضاً: الفلسطيني صار يبكي كما في فيلمي "دار ودور" مثلاً، وهو فيلم كان بمثابة نقطة تحول بالفيلم الوثائقي الفلسطيني، فإذا ما قدر لك أن تترجم معاني الأفلام فستستوحي منها أن الفلسطيني بالطرح الجديد مثله مثل أي إنسان، ويمكن له أن يبكي بسهولة، وأن يكون سيئاً، أو أن يكون عميلاً ويضرب زوجته، وهو في الوقت نفسه المقاتل والمحامي وصاحب القضية. لا أريد أن أتحدث عن أشياء بديهية، أنا يمكن لي أن أشاهد ثلاث دقائق يعرف فيها الفلسطيني كضحية.. ومن ثم أتساءل فقد فهمت أنه ضحية، وما الذي يفعله حتى لا يظل ضحية، وحتى أتمكن من مساعدته، وأتعرّف إليه، وأنت ستكتشف أنه جاء من مكان مهم جداً في هذا العالم اسمه فلسطين، ولديه فيها

خصوصيات رائعة، ولديه لهجته ولون إيقاعه، ولك أن تتذوق فيه الفنان أو المخرج أو الراقص. (٢)

وأضاف: مفهوم فيلم "دار ودور" كان غير الأفلام الفلسطينية التي عملوها في الثورة الفلسطينية في لبنان وخارج لبنان .. مفهومنا للقوة مختلف، ويقوم على أنه لو تجسدتنا كشعب وحضارة وتاريخ، وكنا موضوعيين، وبتنا حالة كاملة، وخاصة أننا نملك المكان فنحن أقوياء .. وبالتالي من الصعب على أحد احتلالنا أو أن يستمر في احتلالنا، لأن وجودنا عال وراسخ على أرضنا، ففي هذا الفيلم نحن نرسم، ونرقص، ونحكي النكات ... جدي كان يحب جدتي في يافا قبل وجود دولة إسرائيل .. لم يكن هناك شيء اسمه دولة إسرائيل .. ما حاولنا أن نوصله من خلال الفيلم، أن لنا حكايات في يافا، حكايات أناس تنبت في الأرض شامخة كشجر الزيتون.. "أنا الذي في يافا بفيلم دار ودور" (٣)

"فيلم دار ودور الذي أخرجه وأنتجه المخرج هاني أبو أسعد، وكان منتجاً حينها، فيلم وثائقي خرج في فترة حرب الخليج والانتفاضة الأولى .. في الوقت الذي عرض فيه الفيلم هوجم وحورب في بريطانيا، رغم ذلك عرض في الصالات وحصد العديد من الجوائز، وأصبحت مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في العالم تملك الفيلم، وتعرضه، لإحساسهم بأهمية اللغة التي تناولها. (٤)

والفيلم يروي قصة الفلسطيني محمد، الذي يعيش في مخيم الشاطئ للاجئين قرب غزة، وهو في الأربعين من عمره، متزوج وله سبعة أطفال .. يسافر محمد كل أسبوع ليعمل في تل أبيب، إلى أن جلبت حرب الخليج عواقب سيئة على الفلسطينيين، فأصبح من الصعب الحصول على عمل، فتعاضت التوترات العائلية .. ويتتبع الفيلم محمد وعائلته في غزة وفي تل أبيب أثناء الانتفاضة وحرب الخليج، ويظهر التضحيات التي عليه تقديمها لكي يستمر في الحياة. (٥)

فيلم "دار ودور" الوثائقي الطويل، كان يناقش فترة حظر التجوال في قطاع غزة في فترة حرب الخليج، والشعب الفلسطيني كان يبكي آنذاك من قلة وجود الطعام، وكان مشهراوي "شاهد عيان على تلك الفترة، وقد استطاع الهرب من قطاع غزة إلى تونس". (٦)

وكشف مشهراوي: صنعت فيلم دار ودور، وهذا الفيلم ازعج الاحتلال بشدة لانه رصد وقائع وحقائق يستحيل تكذيبها، وحاولوا نفيها بكل السبل ولكنهم فشلوا، للدرجة التي جعلتهم يقومون بمنع بطل الفيلم الرئيسي من الخروج من منزله لثلاث سنوات كاملة. (٧)

ومن الجدير بالذكر أن رشيد مشهراوي غادر قطاع غزة إلى هولندا، حيث أقام ثلاث سنوات، وأسس مع هاني أبو أسعد، شركة أيلول للإنتاج الفني، التي أنتجت العديد من الأفلام بالتعاون مع شركة أفلام اركوس الهولندية (٨)، كنوع من المؤسسة لتعاونهما مشهراوي كمخرج وأبو أسعد كمنتج بعد فيلمي "دار ودور"، و"أيام طويلة في غزة".

ولكن هناك روايات تشير إلى أن شركة أيلول للإنتاج الفني، هي المنتجة لفيلم "دار ودور"، بالتعاون مع القناة الرابعة البريطانية، بمعنى أنه إنتاج فلسطيني بريطاني مشترك يقع في ٥٢ دقيقة، عن سيناريو رشيد مشهراوي، وتصوير كلاوس يوليوسبرغ وجورج غوريفيتز، في حين لم يكن هاني أبو أسعد منتجاً فحسب، بل مساعد مخرج في هذا الفيلم، حيث تأسست الشركة في غزة، ومن ثم حملت الاسم نفسه في هولندا. (٩)

أما فيلم "أيام طويلة في غزة" (٣٠ دقيقة)، فهو من إنتاج هاني أبو أسعد، وريتشارد الوين، لصالح التلفزيون البريطاني، وعبر شركة أيلول للإنتاج السينمائي في غزة والتلفزيون البريطاني (بي.بي.سي)، عن سيناريو رشيد مشهراوي، ومن إخراج، وتصوير كلاوس يوليوسبرغ، حيث ينقل الفيلم تأثيرات حرب الخليج على المجتمع الفلسطيني، وخصوصاً العمال منهم، وذلك من خلال ثلاثة نماذج تعبر عن آرائها في السياسة، وفي المجتمع، وفي الانتفاضة، وفي حرب الخليج، وعن رؤيتها للمستقبل في ضوء ذلك.

"جمعة الذي يعمل في أحد مطاعم تل أبيب ويصبح عاطلاً عن العمل، وإبراهيم الذي يرفض التعايش بين الفلسطينيين والإسرائيليين من حيث المبدأ، ومن ثم يرفض العمل في تل أبيب، ويجد عملاً له في غزة على الرغم من الحرب وظروفها، أما مصطفى الذي يبقى دائماً في تل أبيب ويستمر في العمل، سيجد أنه مرفوض في تل أبيب كما هو مرفوض في غزة". (١٠)

وفاز فيلم "حظر تجول" من إنتاج هاني أبو أسعد عبر شركة أيلول للإنتاج السينمائي، وإخراج رشيد مشهراوي، بجائزة في مهرجان كان السينمائي العام ١٩٩٤ (١١) .. والفيلم هو أول فيلم روائي طويل لمشهراوي، وحصد جائزة "اليونسكو" في مهرجان كان السينمائي الدولي، كما حصد عدة جوائز في مهرجانات سينمائية دولية في روما، وبرشلونة، والقدس، والقاهرة، وتونس. (١٢)، وهو الفيلم الذي قالت مصادر أخرى أنه باكورة إنتاجات هاني أبو أسعد! (١٣)

ويقول الناقد عدنان مدانات إن فيلم "منع التجول" أو "حظر تجوال" صنع داخل بيت لعائلة فلسطينية في فترة منع التجول، وعبر هذا المنزل وعبر حياة الأسرة والجيران القادرين على التسلل إلى هذا المنزل يقدم مشهراوي واقع الحياة الفلسطينية عن طريق السهل الممتنع. (١٤)

بدايات أبو أسعد

ويعتبر الفيلم الوثائقي "لمن يهيمه الأمر" باكورة أعمال هاني أبو أسعد مخرجاً، وهو من إنتاج "جرمق فيلم" لرشيد مشهراوي، وهذا يعكس عمق العلاقة بين الاثنين الذين تبادلوا الإنتاج لأفلام بعضهما البعض. والفيلم الواقع في خمس عشرة دقيقة، عن سيناريو المخرج حنا إلياس، وقام بتصويره إيفون

ميكلوش، وهو إنتاج فلسطيني هولندي مشترك، وشارك إلياس أبو أسعد في إنتاج الفيلم، الذي فاز بجائزة مهرجان كارلوفيفاري السينمائي الدولي العام ١٩٩١، وهو ذات عام إنتاج الفيلم، الذي يقدم قراءة في الموقف الفلسطيني المؤيد للعراق خلال حرب الخليج، ذلك الموقف الذي بدا غريباً لكثيرين من مؤيدي الحق الفلسطيني، كما يقول المخرج، من خلال استقراء آراء شخصين من الناصرة، ومحاولة نقل دوافعهما ورؤاهما التي نبع منها موقف كل منهما. (١٥)

ويرى البعض أن العام ١٩٩١، حيث كانت الإنتفاضة الأولى في أوجها، كانت ولادة المخرج هاني أبو أسعد، عندما قدم عمله الأول "لمن يهمله الأمر"، وهو فيلم وثائقي قصير، أنتجته شركة أيلول للإنتاج السينمائي التي كان أسسها في هولندا بالتعاون مع المخرج رشيد مشهراوي .. في هذا الفيلم حاول أبو أسعد قراءة الموقف الفلسطيني الذي بدا مؤيداً للعراق خلال غزوه للكويت، ونال الجائزة الأولى كأفضل فيلم قصير في معهد العالم العربي في باريس. (١٦)

وفي العام ١٩٩٢، خرج أبو أسعد بفيلمه الروائي الأول "بيت من ورق"، وهو فيلم روائي قصير (٢٨ دقيقة)، عن سيناريو هاني أبو أسعد نفسه، وإنتاج "أيلول للإنتاج السينمائي"، وشاركه في الإخراج حنا إلياس، وهو الفيلم الذي حصد جائزة أحسن فيلم قصير في بينالي السينما العربية في معهد العالم العربي في باريس العام ١٩٩٤، وهو من بطولة: سلوى نقارة حداد، وسليم ضو، وطارق قبطي، وسامية بكري، ورامي كزبري، ويونس يونس، وروحي عيادي. (١٧)

ويروي الفيلم قصة حلم خالد (١٣ عاماً) ببناء منزله الخاص في موازة خلفية قاسية عن تدمير منزله الأبوي الحقيقي، حيث يقرر خالد، أثناء لعبه مع أخيه أمير وأصدقائه، بناء بيت ورقي، وبالفعل يبدأ مهمته مع أصدقائه، ويحصل على المواد اللازمة من أماكن متعددة. (١٨)، وهو الفيلم الذي وجد فيه بعض النقاد "تحليلاً ذكياً لتفتت البنية الاجتماعية والنفسية للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال في ظل غياب الوعي الصائب لدى قياداته" (١٩)، بينما وجد آخرون أن "هاني أبو أسعد اختار الطفولة الفلسطينية بوابة للدخول إلى ميدان الحديث عن الانتفاضة في فيلمه بيت من ورق (١٩٩٢)، فعندما يهدم المحتل بيت أهل الفتى، يقوم ببناء بيت من ورق، ويتعاون هو وأصدقاؤه لتوفير المواد اللازمة لبناء هذا البيت. (٢٠)

وعن الفيلم قال أبو أسعد: كانت تجربتي الأولى هي فيلم "بيت من ورق"، الذي يتناول قصة ولد فلسطيني هدمت السلطات الاسرائيلية بيته فأصبح حلمه بناء بيت جديد حتى ولو من ورق، ونال هذا الفيلم الجائزة الثالثة من مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والقصيرة العام ١٩٩٢. (٢١) وكان أبو أسعد تحدث عن أفلام مغمورة له في بدايات مشواره السينمائي، ولكن دون تفصيل، ومن

بينها إضافة إلى "بيت من ورق"، فيلم "الـ١٣"، وفيلم "بنت الـ١٤" .. وقال: فيلمي القصير الثاني (الـ١٣) لا يتعرض للمقاومة الفلسطينية ويحكي قصة خيالية لشاب يستيقظ فلا يجد سوى نفسه في كل العالم، وأيضاً فيلمي الروائي "بنت الـ١٤" بعيداً عن الهم الفلسطيني ويتناول قصة زواج شاب وفتاة هولنديين في شكل كوميدي. (٢٢)

الألفية الثالثة من "الناصره"

وبدا هاني أبو أسعد رحلته السينمائية في الألفية الثالثة العام ٢٠٠٠، عبر فيلمه الوثائقي "الناصره ٢٠٠٠"، عن سيناريو أبو أسعد نفسه بالتعاون مع أزاليا شبلي، وهو فيلم من إنتاج فلسطيني هولندي مشترك، يحكي قصة مدينة الناصره التي يعود إليها من هولندا، حيث يجد في كل من "أبو عرب"، و"أبو ماريا" العاملين في محطة وقود مادة لحكايته .. نتعرف إلى عاملي المحطة فنجد أبو ماريا (المسيحي)، وهو من أبناء مدينة الناصره الأصليين، وأبو عرب (المسلم) من قرية المجيدل، وهو واحد من الفلسطينيين الذين طردوا من قراهم التي دمرت العام ١٩٤٨، حيث تتنوع الموضوعات، وتتعدد في قصة الناصره، بدءاً بموقف أحد أفراد أسرة المخرج، وصولاً إلى حديث رامز جراسي رئيس بلدية الناصره، آنذاك، عن مشروع الناصره ٢٠٠٠، المعد لاستقبال الألفية الجديدة، وزيارة البابا لمدينة الناصره، وما فجره هذا المشروع من إشكالات بين المسلمين والمسيحيين، بسبب مقام شهاب الدين والوقف الإسلامي حوله. (٢٣)

وفي العام ذاته، أنجز أبو أسعد فيلمه الوثائقي القصير "تحت المجهر" (٢٣ دقيقة)، وحاول فيه تقصي الأسباب الحقيقية التي دفعت الفلسطينيين لإيقاد شعله انتفاضة الأقصى، وتحديداً مشاركة أبناء فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨ فيها، تلك التي نجم عنها استشهاد ١٣ شاباً من مدينة الناصره والقرى المحيطة بها. (٢٤)

وحول الفيلم الذي أعده أبو أسعد بالتعاون مع بيرو باير، ونزار جون، يقول المخرج العراقي قيس الزبيدي: في إثر اشتعال انتفاضة الأقصى في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي اندلعت في ٢٨ أيلول/سبتمبر من العام ٢٠٠٠، اشتعلت أحداث انتفاضة موازية في مدينة الناصره .. يحضر المخرج من مكان إقامته في هولندا ليصنع فيلماً يتقصى حقائق الأمور، ويسجل مقدمات ومآلات ما جرى في الناصره، لافتاً إلى أن النواة الأساسية في الفيلم هي حوار يأخذ شكل التحقيق الصحافي مع شباب في مقتبل العمر، لم يدخلوا العقد الثاني، بالتوازي مع حوارات وشهادات لرجال شهدوا النكبة، فيبدو الفيلم كأنه يقارن بين المنطقين، ليبين جموح الشباب ونهوضه، في مقابل انكسار وخمود الكهول، ويبدو في النهاية أن هذا الموضوع لن يكتب له الاستمرار، بل هو مهدد بالانفجار في أي حين ما دام هناك احتلال وعنصرية. (٢٥)

فورد ترانزيت .. علامة فارقة

ويمكن اعتبار فيلم هاني أبو أسعد الوثائقي "فورد ترانزيت" علامة فارقة بالنسبة له، هو الفيلم المنتج في العام ٢٠٠٢ من قبل "أوغستوس فيلم" في أمستردام، ويمتلکها أبو أسعد نفسه، فعلى مدار ثمانين دقيقة يرافق المخرج سائق السيارة العمومية رجائي وركابه على طريق رام الله - القدس، مروراً بالحواجز العسكرية الإسرائيلية، والمتاريس التي شكلت بدايات جدار الفصل العنصري، والطرق الالتفافية، ليكون واحداً من بين ركاب متنوعين في أفكارهم وآرائهم بشأن الأوضاع في فلسطين، والصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، علماً بأن من بين ركاب "الفورد" ساسة وكتاب وفنانون فلسطينيون وإسرائيليون كالدكتورة حنان عشاوي، والدكتور عزمي بشارة، والأب عطا الله حنا، والمخرج "ب.ز. غولديبرغ".

واللافت في الفيلم تلك الحساسية التي تناول فيها الفيلم حكاية سائق "الفورد"، رجائي، منتقلاً من حياته الخاصة إلى الوضع العام للشارع الفلسطيني، والذي أقل ما يمكن وصفه بالمعقد والمأساوي .. رجائي كان كرشة الملح الضرورية لطهي الفيلم على نار هادئة، خاصة حين يطرح وجهة نظره الخاصة والمغايرة بشأن الوضع السياسي والحلول المستحيلة، وحين يتحدث عن "الاستزاق" من تهريب الأقراص الممغنطة، وعن أحلامه المستقبلية خارج فلسطين، وكذلك عن افتتاحه بـ"العمليات الاستشهادية"، دون أن ينكر حالة الإحباط التي تعتريه جراء كونه سائق سيارة عمومية (فورد).

والطريف في الأمر، أن المخرج تطرق في الفيلم إلى أن هذه السيارات كانت تمنح لعملاء الاحتلال، من أجل تأمين تنقلاتهم وتواصلهم مع عناصر الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية، وإنه بعد افتضاح أمرهم وجدوا أنفسهم مضطرين لبيعها، فتحولت إلى وسائل نقل عمومية، وبالتالي فإن عدد سيارات الفورد يدل على عدد العملاء الذين كانوا، وقد حصل الفيلم على جائزة مهرجان القدس السينمائي العام ٢٠٠٣. (٢٦)

وفي هذا الفيلم الوثائقي، يعمل أبو أسعد، بما يملك من أدوات، على إيواء حلم سائق حافلة في مدينة القدس، اختار مهنة على قدر كبير من الخطورة نظراً لمروره المتواصل عبر حواجز التفتيش الإسرائيلية، والحواجز المفاجئة التي تضيق الخناق على شوارع المدينة إذ تتحول الحافلة باستمرار باتجاه طرق ترابية وعرة وخطرة، حيث رصاص القناصة الإسرائيليين بالمرصاد. (٢٧)

تلتقي كاميرا أبو أسعد لتستجلي موقف الركاب بالأحداث الساخنة على الأرض الفلسطينية، وتستجلي كذلك آراء بعض الخبراء النفسيين والاختصاصيين الاجتماعيين والسياسيين كحنان عشاوي وعزمي بشارة.. تلك الآراء التي تكشف عن الدمار الذي تجاوز هدم البيوت ومس قدسية الحياة والحلم وأوغل تخريباً في أعماق البشر.

يمثل الفيلم وقفة صادقة أمام الموت المفروض قطعاً من كل بشري، كيف يصبح الموت خياراً وربما رغبة تنتصر أحياناً على الرغبة في الحياة؟!

اختر أبو أسعد مدينة القدس لتصوير أحداث فيلمه المشوق. فالفيلم يحاول بجرأة وصدق وعمق أن يفكك خيوط الصورة المعقدة والمتشابكة على الأرض من خلال العمليات الاستشهادية التي أضحت ظاهرة فلسطينية... ويطرح تساؤله المؤلم: كيف يقودك التوق للحياة والتشبث بها إلى طريق الموت؟ كيف يكون الإنسان هو القاتل والضحية في آن؟ هذه ليست بدعة فلسطينية، بل أسقطها المحتل على الفلسطيني، أولاً من خلال تباكيه وتصوير نفسه على أنه ضحية الفلسطيني، وثانياً حين جرد هذا المحتل، استناداً إلى تفوقه العسكري والاقتصادي، الفلسطيني من كل أسلحة المقاومة ووضعه في خانة واحدة: الموت أو الاستسلام التام والمهين ما دفع الفلسطيني إلى أن يحول موته إلى سلاح ينال من الذات والقاتل على حد سواء.

ويقدم المخرج، على امتداد ساعة ونصف هي زمن الفيلم، وبحرفية بالغة جملة واسعة من الحقائق والرسائل الإنسانية الحميمة البسيطة المستمدة من صميم الواقع الفلسطيني، حيث سائق الحافلة هو نموذج للكثير من الشباب الفلسطيني الذي يتعرض للضرب والإهانة والتخويف والتجويب بصورة دائمة تبعث فيه اليأس وتشحنه ليكون قبلة موقوتة. (٢٨)

وقال أبو أسعد عن الفيلم: الفكرة الأساسية في "فورد ترانزيت" محاولة الخروج بفيلم وثائقي ولكن برؤية مغايرة تجعل منه ليس مجرد فيلم وثائقي، فقد حاولت إخراجها في إطار قصة روائية، وبالتالي عملت في خط التماس ما بين الروائي والوثائقي... لم يكن بطل الفيلم سائق سيارة عمومية (فورد) فحسب، بل كان يقدم دوراً روائياً انطلقاً من مهنته هذه، واعترف أنني أحياناً كنت أمله ما يقوله، لإتمام عملية المزج ما بين اللغة الروائية واللغة الوثائقية في الفيلم. (٢٩)

زواج رنا

وفي ذات العام، خرج أبو أسعد بفيلمه الروائي الطويل "زواج رنا"، أو "القدس في يوم آخر" عن سيناريو ليانة بدر وإيهاب لمعي، وبطولة: كلارا خوري، وخليفة ناطور، وإسماعيل دباغ، ووليد عبد السلام، وزهير فاهوم، وبشرى قرمان.

ويتناول الفيلم حكاية رنا الشابة المقدسية التي تقرر ذات صباح ترك منزلها في القدس الشرقية للبحث عن حبيبها خليل الذي تنوي الزواج منه، في وقت يرغب فيه والدها أن ترافقه في سفر خارج فلسطين أو أن تختار عريساً من بين قائمة أعددها لها مسبقاً، وخلال عملية البحث هذه،

يسلط أبو أسعد الضوء على معاناة المدينة، وبشكل ذكي وغير مباشر، عبر إجراءات الاحتلال في المدينة المقدسة.

وبالإسهاب أكثر، يمكن القول إننا في "عرس رنا" لا نتعامل مع مادة فلكلورية تشتغل على تفاصيل خاصة بتقاليد الزواج، حيث يبدأ الفيلم بمشهد مرگب، هو نوع من المقدمة، تستخدم فيه مؤثرات بصرية لصور ثابتة لأشخاص ملتقطة من الخلف فلا نرى الوجوه: أم، أب، أخ وآخرين، ملصقة على لقطات سينمائية لهم مستقلقين على الأسرة، بمصاحبة تعليق على كل مشهد على حدة، يوحي بأنه يتعامل مع حدث مضى، هو ما حصل خلال نهار واحد مع الشابة رنا التي قررت الزواج من حبيبها في نفس النهار.

تعيش رنا مع والدها في القدس، فيما يعيش أختوها في القاهرة.. الوالد مضطر للسفر إلى القاهرة والتوجه نحو المطار في الساعة الرابعة من بعد الظهر. وهو لا يريد أن يترك ابنته تعيش وحيدة في القدس. لهذا اشترط عليها إما الزواج في نفس اليوم وقبل أن تبلغ الساعة الرابعة بعد الظهر أو مصاحبته للعيش معه خارج البلاد.

كان الوالد قد جهز قائمة بأسماء مرشحين محتملين للزواج: محامين، وأطباء، وموظفين، كان كل منهم قد "طلب يدها"، وجوبها جميعهم برفضها، والآن يريد منها أن تختار على عجل أحدهم.

هكذا بات على رنا أن تبحث فوراً عن حبيبها خليل، المخرج المسرحي، لكي تتزوج منه قبل المهلة التي حددها الأب في الساعة الرابعة من بعد الظهر.. هذه هي العقدة التي تنبني عليها حكاية رنا والتي تجعل من الحكاية ومساراتها أشبه بلعبة تحمل في طياتها قدراً ما من السخرية أو المفارقة.

تجوب رنا شوارع وأحياء القدس بحثاً عن حبيبها، تتصل به مراراً على الهاتف الخليوي فلا يرد، تبحث في المنازل التي يمكن أن يتواجد فيها فلا تعثر عليه، إلى أن تعلم انه أمضى ليلته في صالة المسرح في رام الله لأن في عودته ليلاً إلى القدس مغامرة خطيرة مليئة بالتوتر والقلق.

تضطر رنا للذهاب إلى رام الله وتعود مع حبيبها لإتمام مراسم الزواج... وينتهي الفيلم بزواج رنا من حبيبها في آخر لحظة، لكن مراسم الزواج وما تبعها من احتفال بسيط ترقص خلاله رنا في الشارع وسط المدعوين والشهود، تتم في الطريق قرب حاجز لجيش الاحتلال الإسرائيلي، لأن المأذون لم يتمكن من عبوره بعد أن احتجز جنود الحاجز هويته.

من لحظة استيقاظ رنا فجراً وحتى زواجها في الساعة الرابعة من بعد الظهر، تعيش رنا مغامرة، ففي كل مكان هناك جنود وحواجز عسكرية .. كل خطوة تحتاج إلى تصاريح من الاحتلال، وكل طلب تصريح مخاطرة غير مضمونة النتائج، فالفيلم يظهر أن الاحتلال واقع يومي يشمل كل نواحي الحياة وجميع الناس والتعامل معه يتم بشكل طبيعي.

فيلم "عرس رنا" يغوص عميقاً في عرض تفاصيل مدينة القدس: تفاصيل الأحياء والأزقة والشوارع القديمة والمنازل، بما يشبه الرحلة في أرجاء القدس تحت الاحتلال، والموازية بدورها لرحلة رنا بحثاً عن خليل.. تلك التفاصيل التي برع هاني أبو أسعد والمصور برغيت هيلينيوس في تقديمها، ما يجعل من الفيلم بدوره وثيقة سينمائية وجمالية عن القدس.

قال أبو أسعد عن الفيلم: زواج رنا يحكي عن بنت فلسطينية تسعى للالتقاء بحبيبها قبل الساعة الرابعة عصرًا لتتزوج، وهكذا تبقى في القدس، ومن خلال رحلة البحث عن حبيبها يرى المشاهد ما يحدث على أرض الواقع في فلسطين، وخاصة في القدس. (٣٠)

الجنة الآن

طرح فيلم الجنة الآن (٢٠٠٥) لهاني أبو أسعد، الذي نال جائزة غولدن غلوب لأفضل فيلم أجنبي في الولايات المتحدة، أسئلة عن الحياة والموت وتغيير الواقع الفلسطيني عبر عملية تفجيرية ينوي الصديقان تنفيذها، حيث يتتبع الفيلم مصير خالد وسعيد وهما شابان فلسطينيان من مدينة نابلس اختارتها جماعة فلسطينية لتنفيذ عملية تفجير في تل أبيب.. وفي العام ٢٠٠٦ بات "الجنة الآن" الفيلم الفلسطيني الأكثر شهرة" والذي حصد جوائز عالمية قبل ترشحه للمنافسة على جائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي، وفوزه إضافة إلى الـ"غولدن غلوب" عن أفضل فيلم أجنبي، بجائزة لجنة النقاد في مهرجان برلين السينمائي، وعدد كبير من المهرجانات العربية والعالمية. (٣١) ما أثار حفيظة جهات صهيونية داخل وخارج إسرائيل، كون الفيلم عمل على أنسنة الاستشهادي.

وكشفت صحيفة "يديعوت احرنوت" الإسرائيلية عن ضغوط إسرائيلية ويهودية على أعضاء أكاديمية فنون السينما الأميركية لحرمان الفيلم الفلسطيني "الجنة الآن"، ومخرجه هاني أبو أسعد من جائزة الأوسكار كأفضل فيلم أجنبي لهذا العام، بعد أن فاز بجائزة الكرة الذهبية غولدن غلوب، لأفضل فيلم أجنبي.

وذكرت الصحيفة أن شخصيات إسرائيلية ويهودية تمارس ضغطاً هائلاً على أعضاء الأكاديمية، مشيرة إلى النفوذ الواسع الذي يتمتع به اللوبي اليهودي في هوليوود. وأكدت الصحيفة أن الضغوط أدت إلى انتزاع وعد من الأكاديمية الأميركية بعدم تقديم الفيلم بصفته يمثل فلسطين، بل بصفته السلطة الفلسطينية.

وأفادت الصحيفة بأنه منذ فوز الفيلم بجائزة الكرة الذهبية، قام موظفون في القنصلية الإسرائيلية في لوس أنجلوس، بعملية جس نبض لدى أهل السينما في هوليوود حول فرص حصول الفيلم على جائزة أوسكار. وتبين لهم أن الفيلم هو أكثر الأفلام المرشحة حظاً بالجائزة، فتقرر تكثيف الجهود

السرية لمحاصرته، وحجب الأوسكار عنه.

وكان أبو أسعد أعلن أنه تفاجأ بـ"الغولدن غلوب" لأفضل فيلم أجنبي، وترشيح فيلمه للأوسكار، خصوصاً أنه سبق أن فقد "الدب الذهبي" في مهرجان برلين السينمائي لأسباب سياسية، وضغوط إسرائيلية يخشى تكرارها في الأوسكار.

وصرّح أبو أسعد: بعد توزيع الجوائز في برلين، اقترب مني مدير المهرجان، وهمس في أذني معتذراً عن أن المهرجان لم يمنحني الجائزة الكبرى الأكبر بسبب الجرائم التي اقترفها الألمان أيام النازية". فأجبتة: "نحن الفلسطينيون خسرنا أرضنا ووطننا بسبب جرائمكم، والآن أخسر جائزتي التي أستحق بسبب هذه الجرائم".

والفيلم الذي رفضته إسرائيل، لاعتبارات تتعلق بأنسنة الاستشهاديين، أثار جدلاً واسعاً بين الفلسطينيين خلال تصويره في نابلس، وعند عرضه في رام الله ومدن فلسطينية أخرى، خصوصاً مع الأبناء التي تتحدث عن تمويل إسرائيلي لـ"الجنة الآن"، الأمر الذي نفاه هاني أبو أسعد قطعياً، ويوضح: كان هناك مساعدات غير مالية من قبل المنتج المشارك الإسرائيلي، عمير هارائيل الذي لولاه لما تمكنا من التصوير في المدن والمناطق داخل الخط الأخضر... أنا أرفض التمويل الإسرائيلي، ولم تعرض أي جهة إسرائيلية أساساً تمويل الفيلم. أريد أن أقول للعالم إن إسرائيل لا تمويل أي فيلم لا يخدم خطها السياسي، أما هارائيل، فتعرض لمضايقات عدة، ولتهديدات من قبل أعضاء في الكنيسة الإسرائيلية، ما حدث أيضاً مع مسؤول في صندوق الفيلم الإسرائيلي، بمجرد إعلانه في برلين عن استعداده للمساعدة في عرض الفيلم داخل إسرائيل". (٣٢)

ويرى الناقد إبراهيم العريس أن فيلم "الجنة الآن" فيلم مختلف: مختلف في موضوعه الجديد، والراهن، مختلف في ديناميكية لغته السينمائية، ومختلف في قدرة مخرجه على إدارة ممثليه بحرفية مذهشة، ومختلف حتى، أخيراً، بترجمة ردود الفعل التي يجتذبها. فهنا تحت دائرة التعاطف المسبق، يجد المتفرج نفسه أمام عمل يجمع الدراما بالتشويق، السياسة بالكوميديا، الواقع بالتأمل الفكري، وكل هذا حول موضوع يمس جوهر ما يثير اهتمام العالم اجمع: "موضوع الإرهاب"، كما يطلق عليه في الغرب، فـ"الجنة الآن" اختار ان يطرق هذا الموضوع، مباشرة ومن أوسع ابوابه، طارحاً الكثير من تلك الأسئلة الشائكة التي تدور حول من هو الانتحاري؟ كيف يصبح قنبلة متحركة، جاعلاً من جسده، سيارة "مفخخة"؟ لماذا يصبح انتحارياً، وليس من ناحية الدافع السياسي والديني فقط؟ كيف يجنّد؟ هل هو انسان من لحم ودمّ ام انه مجرد ماكينة قتل؟ ثم ما هي مشاعره الخاصة اذ يُقدم على ما يُقدم عليه؟.. هذه الأسئلة التي من الواضح ان قلة من الناس

تطرحها او تتجرأ على طرحها، جعل منها هاني ابو اسعد، مركز الصدارة في فيلم، كان عليه في نهاية الأمر ان يسير على حبل مشدود، إذ ان كل ما لمس هذا الموضوع يبدو، قَبْلِيًّا، من المحظورات او المسكوت عنه. والمشي على الحبل المشدود، هو النتيجة المنطقية لرغبة قول ما لم يكن يقال. (٣٣)

اننا هنا إزاء فيلم فلسطيني كبير، اعتبر وحده تقريباً "الحضور العربي" في دورة ذلك العام لمهرجان برلين... ثم عرف كيف يؤمن خلال المرحلة التالية الحديث عن حضور ما، ومتميز، لسينما عربية متميزة. وهنا لا بد من ان نشير الى ان هاني أبو أسعد ساجل طويلاً خلال ذلك المهرجان مدافعاً عن الأبعاد الفنية لفيلم من المفترض ان يطغى عليه الحديث السياسي والايديولوجيا وسجالاتهم، راح يقول على اي حال انه اما حقق هذا الفيلم لكي يفتح سجلاً حول أمر لا يسجل أحد بشأنه، مؤكداً انه صور فيلمه في نابلس، أي في الموقع الساخن للأحداث خلال فترة عصيبة، ما اضطره احياناً الى استكمال تصوير بعض المشاهد في الناصرة. أما ممثلو الفيلم، وأبرزهم قيس ناشف (سعيد) وعلي سليمان (خالد)، فإنهم آتون من التمثيل المسرحي، في مقابل لبني الزبال (سهى) المغربية الأصل الحاضرة في السينما الفرنسية ولا سيما في افلام اندريه تيشينه وهيام عباس الفلسطينية المقيمة في فرنسا.

باختصار اتى "الجنة الآن"، وهو كان يومها ثاني أعمال هاني أبو أسعد في مجال الفيلم الروائي الطويل، بعد "عرس رنا"، فيلماً كبيراً وجاداً... فيلماً يجمع المهارة التقنية بالاقتراح السياسي، من دون أن يزعم إيجاد الاجوبة لكل الأسئلة المطروحة... وهاني أبو أسعد اكد هذا على اية حال قائلاً انه يكفيه طرح الاسئلة التي لا يريد أحد أن يطرحها حقاً... الاسئلة التي آن الأوان لكي تطرح من دون أفكار مسبقة وذاتية مفرطة... لأن هذين سيقطعان الحبل المشدود في نهاية الأمر. (٣٤)

وعن الفيلم قال أبو أسعد: أستاء كثيراً ممن يعيشون تحت وطأة الغرب، وكأنه من واجبنا إقناعه بأننا جيدون .. أرفض من يصنع أفلاماً لهذا الهدف، لأنه في ذلك يضع نفسه في موقع دوني، وكأنه يطلب من الغرب أن يلتفت إليه بأنه جيد .. أنا أرى أنني يجب أن أتساوى مع الكبار أو أتفوق عليهم، لا يهمني ان اقتنع الغرب أم لم يقتنع بعدالة قضيتنا .. كانت بالنسبة لي فكرة مثيرة أن أصنع فيلماً حول ظاهرة من يلفون أنفسهم بأحزمة ناسفة ومتفجرات، ويدخلون حافلات، لينفجر الجميع، وشعرت أن هذه الفكرة قد تكون مثيرة، لأنها تسلط الضوء عما وراء هذه الظاهرة، ولماذا يفعلون ذلك. (٣٥)

وشدد أن "الغرب شعر بأن الفيلم يسيء لسياساتهم، فهم يسعون أن يوصلوا للجمهور أن الانتحاري وحش، وليس لديه مشاعر إنسانية، وبالتالي حينما تقدم في فيلمك وجهاً إنسانياً تعريه، وتكشف لا واقعيته .. المنطلق في "الجنة الآن" هو أن من يقدم على تنفيذ عملية انتحارية إنسان، وليس مطلوباً مني القيام بإنجاز فيلم لأثبت ذلك، هو إنسان رغماً عن الجميع وعن إسرائيل. (٣٦)

عمر الفلسطيني

وكعادته، لم يخرج فيلم هاني أبو أسعد (عمر)، وهو أول فيلم فلسطيني خالص الإنتاج، أي أنتج بالكامل بأموال فلسطينية، عن إثارة مواضيع حساسة وجدلية، ولكن بأسلوب رشيق وشفاف، حيث تناول الفيلم، الذي رُشح لجائزة أوسكار كأفضل فيلم أجنبي، قضية الفلسطينيين المتعاونين مع إسرائيل شديدة الحساسية، أو "العملاء" كما نسميهم، عبر حكاية خباز فلسطيني شاب يدعى عمر، ليلقي الضوء على الخيارات الصعبة التي يضطر لاتخاذها بعد تورطه في قتل جندي إسرائيلي وتعرضه لضغوط من جانب المخابرات الإسرائيلية للعمل لصالحها، وهنا يضع علاقة عمر بأسرته وأصدقائه والفتاة التي يحبها على المحك.

ويقول مخرج الفيلم، هاني أبو أسعد إن الفيلم "يتناول قصة حب، لكنه أيضا يتعلق بالولاء والخيانة في ظل الاحتلال"، مضيفاً بأن "تجنيد متعاونين مع إسرائيل يعتبر من الموضوعات المحظورة، لكنني شعرت أنه آن أوان مناقشته لأنه شديد الأهمية". ورأى أبو أسعد أن تجنيد الفلسطينيين "لا يدمر المقاومة الفلسطينية فحسب، بل يقضي على آدمية البشر.. برأيي، هي جريمة كبيرة." (٣٧)

والفيلم المنتج العام ٢٠١٣، ويقوم ببطولته كل من آدم بكري، ليم لوباني، إياد حوراني، سامر بشارت، يعالج عدة مواضيع عبر حبكة فنية يقول أبو أسعد إنها تستلهم مسرحية "عطيل" لشكسبير، مضيفاً: "مشكلة عطيل كانت إحساسه بعدم الأمن. عندما لا تشعر بالأمن تبدأ في التفكير في أمور لا يمكن تصديقها. عندما تعاني من شعور بالاضطهاد، لا يمكنك اتخاذ قرارات عقلانية". ويستطرد قائلاً: "أعتقد أننا جميعاً نعاني من هذه اللحظات في الحياة ومن ثم نشعر بعجز وجودنا. نحن الفلسطينيون نعرف ذلك." (٣٨)

وهنا أستعيد بعض ما كتبه حول الفيلم عند عرضه الأول في فلسطين، وبالتحديد في قصر رام الله الثقافي، حيث سردت حكاية الفيلم بالقول: ويروي الفيلم قصة خباز شاب يدعى عمر، متيم بفتاة فلسطينية على الجانب الآخر من جدار الفصل العنصري، ويسعى بشكل منتظم لتفادي الرصاصات التي يطلقها جنود من أجل تسلق الجدار لرؤية الفتاة. ويتحدث الشاب والفتاة بحماس عن الزواج. لكن خططهما تنحرف عن مسارها عقب اعتقاله بسبب تورطه في هجوم على الجيش الإسرائيلي قتل فيه جنديا. (٣٩)

ويتعرض عمر للتعذيب في السجن من أجل الإدلاء بمعلومات لصالح الاحتلال، ليبدأ بممارسة لعبة القط والفأر مع الإسرائيلي الذي يحاول تجنيده .. ففي الوقت الذي يحاول إثبات أنه ليس "خائناً" يشاع في الشارع أنه كذلك.

ويبدأ فيلم "عمر" (٩٨ دقيقة)، الذي كتبه مخرجه، بالشاب عمر (آدم بكري) يتسلق الجدار لكي

يلتقي مع صديقي عمره طارق (إياد حوراني) وأمجد (سمير بشارة)، ومع نادبة (ليم لوباني) شقيقة طارق الطالبة التي يتبادل معها الحب. لكنه ما إن يصبح على قمة الجدار ويستعد للنزول من الناحية الأخرى حتى يطلق عليه جنود الاحتلال الرصاص رغم أن الناحية الأخرى ليست إسرائيل، وإنما نفس البلدة التي قسمها الجدار.

يصاب عمر إصابة طفيفة، ويتمكن من اللقاء مع صديقيه ومع حبيبته. وتبدأ أحداث الفيلم مع مشهد يقوم فيه طارق بتدريب عمر وأمجد على إطلاق النار، ويقول لهما في نهاية المشهد "نحن جاهزون يا شباب". وفي مشهد آخر على الطريق الرئيسي خارج البلدة تقوم دورية من جنود الاحتلال بإذلال عمر عندما يأمرونه تحت تهديد السلاح بالوقوف على صخرة صغيرة رافعاً يديه من دون أي مبرر سوى أنه فلسطيني.

وفي الليل يقوم الأصدقاء الثلاثة برصد مجموعة من جنود الاحتلال عند حاجز عسكري، ويطلب طارق إطلاق الرصاص، فيتردد عمر ولا يتردد أمجد ويصوب نحو أحد الجنود ويقتله. ويبدأ الصراع بين أجهزة الأمن الإسرائيلية والشبان الثلاثة لمعرفة من الذي قتل الجندي، وإلى أي فصيل سياسي ينتمون، والعمليات الأخرى التي يخططون لها.

تعرف سلطات الاحتلال من قاموا بالعملية، ويعرف الشبان الثلاثة بالطبع أن هناك من أبلغ عنهم من الفلسطينيين المتعاونين مع الاحتلال، ويتوصل طارق إلى الجاسوس ويعذبه ويقتله.

وتتم مطاردة عمر والقبض عليه وتعذيبه داخل السجن. وهنا تبدأ دراما قوية كتبها وأخرجها هاني أبوأسعد ببراعة واقتدار عن علاقة القط والفأر بين عمر ورامي (وليد زعيتر)، ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي يتولى القضية، ويريد أن يعرف بالضبط من يكون قاتل الجندي، وفق ما كتب الناقد المصري الشهير سمير فريد.

وقال أبو أسعد إنه استوحى فكرة الفيلم من واقعة رواها له أحد أصدقائه حين حاولت أجهزة الاستخبارات إجباره على التعاون معهم، لأنهم كانوا يعرفون سرا عنه، وهو الأمر الذي من شأنه أن يتسبب بفضيحة لعائلته.. لم يعرف ماذا يفعل بل أن يقرر "إنك تعرف ماذا أفعل، سوف أدمر عائلتي، ولكن لن أصبح متعاوناً مع العدو". (٤٠)

ويقول أبو أسعد إنه لا يخشى رد الفعل السلبي عن الفيلم، مشيراً إلى أن "المجتمع الفلسطيني منفتح جداً، وأكثر انفتاحاً بكثير مما يعتقد. نحن منفتحون جداً على الانتقادات".

ويعتبر فيلم "عمر" الفيلم الروائي الأول بهذا المستوى، الذي يصوره أبو أسعد بالإستعانة بطاقم أغلبه من الفلسطينيين ومعظمهم جدد بالمجال، وحول هذا يقول "لقد كانت مخاطرة كبيرة. في بعض

الأحيان قلت لنفسي، يا إلهي، ماذا أفعل، ولكن عندما أرى النتائج أصبح سعيدا جدا لأنني خاطرت". ويشعر أبو أسعد بأنه فخور خاصة وأن الفيلم أنتج بأموال فلسطينية فقد ساهم رجال أعمال ومغتربون فلسطينيون بـ ٩٥% من موازنة الفيلم، بينما ساهمت دبي بما تبقى، وهو ما قال صاحب "الجنة الآن" إنه منحه "حرية" كبيرة "فإن تكون أكثر اقتصادا يعني أن تكون أكثر استقلالية". (٤١) وفي محض تحليل الفيلم، كنت كتبت: الطلقة الأخيرة في فيلم "عمر" لهاني أبو أسعد، كانت بمثابة رسالة على أكثر من اتجاه، أولها أن كرامة الفلسطيني الحر في لحظات تكون أهم من حياته، وأن لا حياة طبيعية لنا في ظل الاحتلال، وأن الحل الأمثل يكمن في التخلص منه، وهو ما حصل حين أطلق عمر (آدم بكري) النار على ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي حاول تجنيده بعد اعتقاله. (٤٢)

بعد قرابة الساعتين من "شد الأعصاب"، حيث البكاء، والابتسام، والضحك حتى القهقهة، والصراخ، والتوتر، وغيرها من المشاعر المتناقضة، استطاع الفيلم المبني مع معالجة درامية على قصة حقيقية، فضح عنصرية الاحتلال عبر العديد من المشاهد، من بينها مشهد إجبار عمر على الوقوف فوق حجر صغير نسبياً لفترة طويلة، بقرار مزاجي من جنود دورية لجيش الاحتلال، وحين احتج هشموه ضرباً، قبل أن يجبروه على الوقوف مرة أخرى على ذات الحجر وبقدم واحدة، ومن ثم التعذيب في غرف التحقيق، على الصعيدين الجسدي والنفسي، وتصوير تفاصيل لا يعرفها إلا الفلسطينيون، ك"غرفة العصافير"، وإن كان تم توضيح الفكرة لمن هم خارج فلسطين، عبر الحوار بين ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي انتحل شخصية قيادي مقاوم، وأوقع عمر في الفخ، إضافة إلى مشاهد اقتحامات المخيم المتكررة، ومشاهد جدار الفصل العنصري الذي لعب دوراً أساسياً في الفيلم، عكس علاقة الفلسطيني بالاحتلال .. قلة انتقدت ما وصفوه بـ"أنسنة" ضابط المخابرات الإسرائيلي، بل إن أحد المخرجين أخبرني بأنه "حزن عند مقتله برصاصة عمر"، وأرى في ذلك مبالغة، حيث إنني قرأت الصورة بشكل مغاير لما قرأه، فضايط المخابرات الذي "يريك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب"، هو صورة حقيقية لعدد من ضباط المخابرات الذين عايشهم الأسرى وذووهم، وأسر المطاردين، وهنا علقت عبارة من شقيقة أحد المطاردين السابقين في ذهني، حين قالت لي، "ذكرني الفيلم بما حدث مع شقيقي .. كان هناك جنود يحاولون أن يكونوا لطفاء، وربما يكون بعضهم كذلك، لكن هذا لا يعني أنهم لطفاء"، بل إن الصورة هذه يمكن أن تقرأ على أنها دلالة رمزية على محاولات دولة الاحتلال الادعاء بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، والظهور بمظهر حضاري، على عكس الواقع، كما هو حال ضابط المخابرات الإسرائيلية رامي. (٤٣)

من الناحية الفنية، الفيلم "مشدود" إلى درجة لا يمكنك معها الشعور بالملل، ومحبوك بطريقة

جيدة، إلا من بعض الهنات هنا وهناك، والتي تعكس حالة الفراغ التي تعيشها السينما الفلسطينية بسبب غياب كتاب سيناريو محترفين، لكنها لا تؤثر على القيمة الجمالية للفيلم، كما أن أداء الممثلين كان مدهشاً، علاوة على أن الرؤية الإخراجية وعين أبو أسعد السينمائية بقيت متألفة كعادتها، فبعد ثمانية أعوام على فيلمه الجنة الآن، حقق حضوراً عالمياً لافتاً، ويكفي نجاح "عمر" في الاختبار الأصعب، وأعني استحسان الفلسطينيين له. (٤٤)

وإضافة إلى فوز فيلم عمر بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان السينمائي العام ٢٠١٣، فاز بالعديد من الجوائز العالمية، حيث حصد غالبية جوائز مهرجان قرطاج السينمائي في دورته الخامسة والعشرين، ومنها جائزة أفضل فيلم (التانيت الذهبي)، وجائزة "التانيت الذهبي" للجمهور، و"التانيت الذهبي" لجائزة التحكيم الخاصة بالشباب، وجائزة أفضل سيناريو العام ٢٠١٤، وكذلك بجائزة "المهر العربي" كأفضل فيلم روائي في مهرجان أبو ظبي السينمائي العام ٢٠١٣.

"يا طير الطائر"

بلغة سينمائية اجتمعت فيها الكوميديا بالتراحيديا بـ«الآكشن» والغناء، ينجح هاني أبو أسعد في فيلمه يا طير الطائر (The Idol)، من إنتاج العام ٢٠١٥، عبر حكاية مقتبسة من سيرة النجم محمد عساف، أن ينقل صورة حقيقية ومغايرة بمقاييس سينمائية عالمية عن الشعب الفلسطيني، ومعاناته، وأحلامه، وطموحاته، دون أن يظهر جندياً واحداً من جيش الاحتلال في الفيلم، مع عدم غياب دلالات ما يسببه لنا من أذى، فهو غائب وليس مغيباً. إدخال أحداث متخيلة لأسباب درامية، وهو ما أشار إليه الفيلم بصرحة في مطلعته، خدمه كثيراً، ومنح عساف بعض تفاصيل حياته الغائبة للمخرج قدم إضافة أخرى، علاوة على السيناريو ذي الحساسية العالية، وكذلك الكاميرا، وهذا ما اعتدنا عليه من هاني أبو أسعد، إضافة إلى التركيز على الإنساني بعيداً عن الكلاشيات والشعارات، مع أهمية الإشادة بأدوار الفنانين الفلسطينيين والعرب، وخاصة الأطفال فيس عطا الله (عساف الصغير)، وهبة عطا الله (شقيقته نور)، وأحمد قاسم (صديقه أشرف)، وعبد الكريم أبو بركة (صديقه عمر)، وبالذور الحيوي للموسيقى، والأزياء، والديكور الخارجي، وتحريك الممثلين في المشاهد المتنوعة، فهاني أبو أسعد في فيلمه "يا طير الطائر" أضحكنا وأبكنا، أحننا ومنحنا الأمل.. إنها الحياة، إنها السينما، إنها فلسطين. (٤٥)

وقال أبو أسعد عن الفيلم، الذي حقق شهرة عالمية على مستوى المهرجانات، وعلى مستوى عرضه في أكبر عدد من دور العرض السينمائي في العالم تسجل لفيلم فلسطيني: فيلم "يا طير الطائر" ليس فيلماً عابراً.. هو فيلم مهم لي على الصعيد الشخصي، لأنه يتحدث عن غزة التي تصدّر المقاومين

والفنانين والمبدعين رغم أنها تقبع تحت الحصار، وتحت القمع .. هذا الفيلم هديتي لغزة وأهلها.
(٤٦)

سينما خاصة

ولهاني أبو أسعد حكاية خاصة مع السينما، عبر عنها ذات مرة بالقول: أما بالنسبة للسينما فأنا أحببتها فعملت بها فأنا مهندس طيران وعملت في هذا المجال لمدة عامين من ٨٧ - ٨٩ ولكن وجدت أن الهندسة تقوم على معاملة واحدة $2=1+1$ وهذه المعادلة ثابتة في كل أنحاء العالم، ولأنني بطبيعتي أعشق المغامرة وأعشق الخيال فقد اتجهت للإخراج السينمائي وأنا عشقت السينما منذ كنت طفلاً، ففي مدينتنا الناصرة كانت هناك سينما (ديانا) تقدم كل أحد فيلمين في تذكرة واحدة أجنبي (كاوبوي) ومصري. وعشقت من خلال مشاهدي الأبطال المصريين فريد شوقي ورشدي أباظة وتوفيق الدقن ومحمود المليجي وهند رستم وميرفت أمين. لذلك عندما شعرت بقسوة الواقع وضيق مجال الهندسة هربت الى عالم السينما الرحب الواسع الذي كان يساعدني وأنا طفل على الهروب لمدة ٤ ساعات من الواقع الصعب في ظل الاحتلال الاسرائيلي. (٤٧)

وفي نظرة سريعة على الأفلام التي حققها هاني أبو أسعد في تجربته السينمائية الرائدة، والتي باتت عالمية بطبيعة الحال، يمكن القول بأنه مخرج مهووس بالحكاية الفلسطينية، يحاورها، ويسبر أغوارها، ويغازلها دون خجل، ويأتيها من جوانبها المتعددة، على مستوى الواقعي والمتخيل، ففي أفلامه كلها يسعى للقبض على السؤال الذي يشاغله، ويترك فضاء الإجابة مفتوحاً أمام الشخصيات التي يتناولها، ويمنحها فرصة التعبير عن ذاتها، دوفا ادعاء أو تصنع، كما إن هاني أبو أسعد متنوع في خياراته الفنية، وإن كان انحاز في تجاربه الأخيرة إلى المتابعة والمعاشية، وهو ما لم يغب عن تجاربه الأولى، ما يجعل من أعماله سؤالاً مستفزاً بالمعنى الإيجابي، ويراكم معرفياً كما هي مراكمته لاحترافية إجادة المتعة البصرية، ما يجعل المشاهد لأفلامه يقف أمام معالجة مبدعة لدقائق تفاصيل الحياة الفلسطينية، بحلوها ومرها، وسلبياتها قبل إيجابياتها، وكأنه يقول "لا تحرر دون حرية".

الهوامش

(١) أسماء الغول، تقرير بعنوان "رشيد مشهراوي: السينما الفلسطينية حققت وطناً لم يحققه السياسيون"، جريدة الأيام اليومية الفلسطينية، ٦ آذار/ مارس ٢٠٠٧.

(٢) تقرير بعنوان "رشيد مشهراوي في انتظار الانتظار"، لنحاول تحرير السينما الفلسطينية من الاحتلال"، جريدة الحياة اللندنية، ٤ حزيران/ مارس ٢٠١٤.

- (٣) فاطمة عطفة، تقرير بعنوان "رشيد مشهراوي: الأم تشكل دقات قلب المخيم في حالة الحصار والمقاومة"، جريدة القدس العربي، ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر، ١ محرم ١٤٣٠ هجرية.
- (٤) المصدر السابق.
- (٥) قيس الزبيدي، فلسطين في السينما، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، أيار/ مايو ٢٠٠٦.
- (٦) موقع النفيس الالكتروني، "السينما الفلسطينية مسيسة وغير موضوعية"، ٣ آذار/ مارس ٢٠١٥.
- (٧) مئة عصام، تقرير بعنوان "رشيد مشهراوي: حياة الإنسان الفلسطيني في ظل الاحتلال هي قضيتي وشغلي الشاغل"، جريدة الشروق المصرية، ٤ آذار/ مارس ٢٠١٥.
- (٨) نوريث غيرتس، جورج خليف، منظر في الضباب (٢٠٠٥) بالعبرية.
- (٩) قيس الزبيدي، مصدر سبق ذكره.
- (١٠) لمصدر نفسه.
- (١١) تقرير بعنوان "الأفلام الفلسطينية تحصد الجوائز الدولية"، وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ)، ٧ أيار/ مايو ٢٠٠٩.
- (١٢) تقرير بعنوان "فيلم رشيد مشهراوي في السرايا يافا"، موقع العرب الالكتروني التابع لأسبوعية كل العرب، الناصرة، ١٨ أيار/ مايو ٢٠١٢.
- (١٣) تقرير بعنوان "هاني أبو أسعد في مهرجان تريبيكا السينمائي ٢٠١٠"، جريدة الوسط البحرينية، ١ تموز/ يوليو ٢٠١٠.
- (١٤) أحمد فضل شبلول، تقرير بعنوان "يوم فلسطيني في عيد ميلاد ليلي"، موقع الجبهة الالكتروني، حيفا، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨.
- (١٥) قيس الزبيدي، مصدر سبق ذكره.
- (١٦) حسام فتحي أبو جبارة، مقال بعنوان "هاني أبو أسعد ينصر القضية الفلسطينية سينمائياً"، جريدة القدس العربي، ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٩.
- (١٧) قيس الزبيدي، مصدر سبق ذكره.
- (١٨) المصدر نفسه.
- (١٩) محمد عبيدو، مقال بعنوان "هاني أبو أسعد: سينما فلسطينية حيوية ومتميزة فنياً"، موقع سينما الشعر الالكتروني، ٦ آذار/ مارس ٢٠١٥.
- (٢٠) مجدي أحمد علي، مقال بعنوان "السينما الفلسطينية والانتفاضة"، موقع مؤسسة القدس للثقافة والتراث، ٢٩ تموز/ يوليو ٢٠١٠.
- (٢١) أمجد صادق، تقرير بعنوان "هاني أبو أسعد: هزمت إسرائيل سينمائياً"، مجلة الأهرام العربي، ١ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣.
- (٢٢) المصدر نفسه.
- (٢٣) قيس الزبيدي، مصدر سبق ذكره.
- (٢٤) حسام فتحي أبو جبارة، مصدر سبق ذكره.
- (٢٥) قيس الزبيدي، مصدر آنف الذكر.

- (٢٦) حسام فتحي أبو جبارة، مصدر سبق ذكره.
- (٢٧) تقرير بعنوان "فيلم فورد ترانزيت استجلاء مواقف أوغلت في تخريب الإنسان الفلسطيني"، جريدة الغد الأردنية، ١ تموز/ يوليو ٢٠٠٧.
- (٢٨) المصدر نفسه.
- (٢٩) الجزيرة نت، مقال بعنوان "هاني أبو أسعد .. مغامراته السينمائية"، ١٨ نيسان/ ابريل ٢٠٠٦.
- (٣٠) المصدر نفسه.
- (٣١) يوسف الشايب، تقرير بعنوان "افتتاح مهرجان القصة السينمائي الدولي .. الليلة"، جريدة الأيام الفلسطينية، ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦.
- (٣٢) يوسف الشايب، تقرير بعنوان "الضغوطات الإسرائيلية بدأت على أكاديمية الأوسكار بعد غولدن غلوب"، جريدة الحياة اللندنية، ١٨ شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- (٣٣) إبراهيم العريس، مقال بعنوان "الجنة الآن لهاني أبو أسعد: الانتحاري والإرهابي والاستشهادي"، جريدة الحياة اللندنية، ٤ آذار/ مارس ٢٠١٤.
- (٣٤) المصدر نفسه.
- (٣٥) الجزيرة نت، مصدر سبق ذكره.
- (٣٦) المصدر نفسه.
- (٣٧) يولاند نيل، مقال بعنوان "فيلم عمر الفلسطيني ينقل للأوسكار قضية المتعاونين مع إسرائيل"، الموقع الإلكتروني لـ"بي.بي.سي"، ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٤.
- (٣٨) وكالة أنباء "رويترز"، تقرير بعنوان "الفيلم الفلسطيني عمر .. قصة حب ومشكلة هوية"، ٢٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤.
- (٣٩) يوسف الشايب، تقرير بعنوان "عمر لهاني أبو أسعد يفوز بجائزة لجنة تحكيم مهرجان كان"، وكالة النورس للأخبار، ٢٥ أيار/ مايو ٢٠١٣.
- (٤٠) المصدر نفسه.
- (٤١) المصدر نفسه.
- (٤٢) يوسف الشايب، مقال بعنوان "عمر لهاني أبو أسعد .. فيلم عتاً!"، جريدة الأيام الفلسطينية، ٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣.
- (٤٣) المصدر نفسه.
- (٤٤) المصدر نفسه.
- (٤٥) يوسف الشايب، تقرير بعنوان "إطلاق فيلم يا طير الطائر لهاني أبو أسعد في فلسطين .. حدث فني بمقاييس عالمية"، جريدة الأيام الفلسطينية، ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦.
- (٤٦) المصدر نفسه.
- (٤٧) محمد عبيدو، مصدر سبق ذكره.